تحولات إيروس

خزعل الماجدي

تحولات إيروس

تأليف
خزعل الماجدي

هنـــداوي

تحولات إيروس

خزعل الماجدي

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٢ ٣٩٤٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠١٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٦.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور خزعل الماجدي.

المحتويات

إيروس الذهب	٩
إيروس الفضة	١٧
إيروس النحاس	٢٥
إيروس الحديد	٣٣
هوامش وإشارات	٤١
خاتمة	٤٣

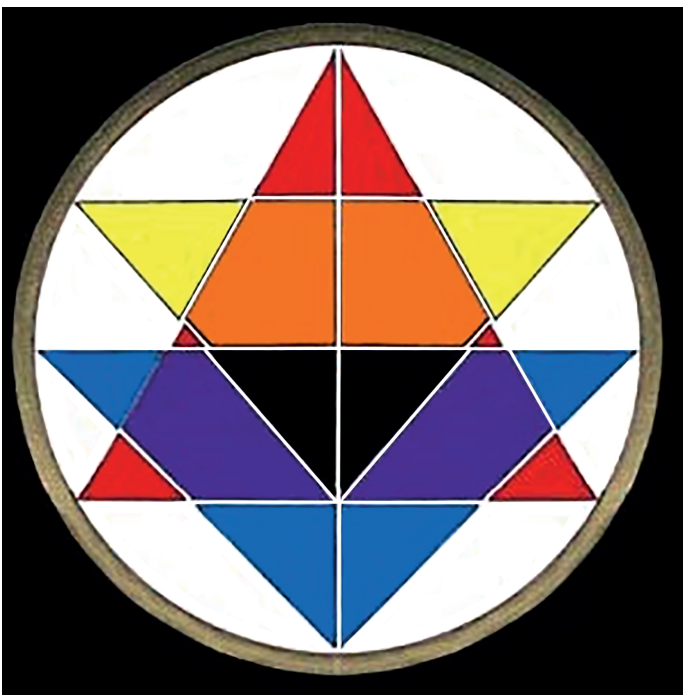

الروح التي لا تقهرُ هي النِّعمة الكبرى. العاشقُ، بالكلمة، يتفتح مثل زهرةٍ ويهندسُ ربيعه أريكة كرومٍ، يدخل مدينة الندى. وإذ يهطل قلبه على الوجود يكون لسانه قد ملأ العالم بكوريةً، وحين يتخضَّب لبُّه بالطلع تكون نار مناجمه قد ارتفعت وترشُّ الشمسُ شذرها في نوافذ جسده.

حين يكون غروبًا، يتحول الحبُّ إلى أوراقٍ صفراء، وتتحول حلقته إلى ضربِ دراويشَ على الدفوف. كان الحبُّ مبلَّلًا بالغياب، مثل ثمرةِ خشخاشٍ، وكان شقوقًا في النفس، وتعتيقًا لخمرٍ في البئرِ الأولى، وكان يصيح مثل راهبٍ مُعنًّى، وحين يدخل الحبُّ في حديدِ الشتاء، يضرب منابتَ العقل، ويهتك نياطَ النفس، يجرُّ عربةً قديمةً وثعابين تتسلقُ شجرة الروح، وبقدر ما هو موخزٌ كسكينٍ لكنه نشوة كبرى وغياب عن العالم المهترئ، تصعد الحكمة وتهبطُ لكنها تنفلت في أواخره نحو الجنون ... فيكون شعرٌ.

إيروس الذهب

أسماءُ الحبِّ في ربيعهِ

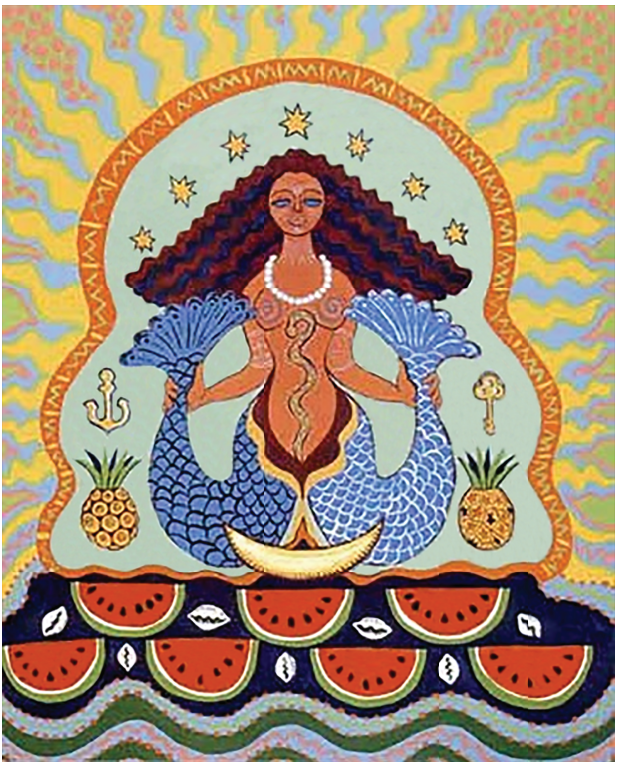

(١) هوى

لعبَ الليلُ بأوتاري مثل عودٍ عتيقٍ،
لعبَ الخوفُ بأصابعي مثل شراكٍ.
لم تكن فيَّ غير عينين راقدتين في بركةٍ،
لم أكن غير جثةٍ في الكحول،
أتوارى هناك بعيدًا في أسمالي،
وتسقطُ أحلامي كالخرز
في مغاور الدود وفي أظلاف ثورٍ منقرضٍ،
أتوارى هناك مثل ربيعٍ مخذولٍ،
لكنَّ نسمةً هوت من يديكِ
على أنفي ... وعينيَّ ...
فقمتُ.

(٢) علاقة

يدي تتسلقُ غصنًا،
وحياتي تتبدلُ من متحفٍ لبستانٍ،
لا أسمِّي رائحتي بوحًا،
لكني مثل ضبابٍ يسقطُ ندًى،
رخامتي تفيض مثل ينبوعٍ غامض من النور،
أمدُّ لكِ الخيط فتلضمه إبرتكِ.
كان كتاب الظلام ثقيلًا،
وكانت يدي تتراخى فيسقطُ منها،
ووجهي يتبدَّل وتتورد أصابعي،
وتحت أضلاعي لغطٌ،
وقلبي يفتح فمَه ويقول.

(٣) شوق

تمضين ... ودخان القطارات يمضي ...
وأتبعُه ...
شهوة الريح أم شهوتي!
دوِّني في الجدار الطويل الذي بيننا الآن،
أني رسمتُ على حجرٍ بتأنٍّ،
مثل الهمس الذي يندر أن ننساه،
مثل الشرود الذي يندر أن نتذكره،
وعلى حجرتي تفتح نبعٌ،
كنتِ سماءَ كتابي،
وفي موقدي تتجمَّرين،
نايكِ يخطفُ ليلي،
ونهاري يتكوَّم في حفري ثملًا،
ومنكِ ... منكِ كلُّ هذا البريد الأصمِّ،
صاعدًا ... نازلًا
في عظامي،
لا يتوقف.

(٤) حنين

الكروم ...
ألوانها في يدي ونداها في شفتيك،
كان لساني يتوه،
وفي أسفلِ الماءِ كنتُ أرتِّل حنيني،
السواد المحيط بي،
والخرافات تتمشى مثل ثيرانٍ في طرقي،
وهناك، في أعماقي، جلجلةُ الأبراج والطيور،
المساء الندِيُّ يدبُّ على ساعدي،

وألمحُ فيكِ جنون الحياة.
تتفتح رائحتي في النوافذ،
والكروم التي لها لون الذهب تصبغ روحي.

(٥) غَمرة

تذكرتُ نهري،
ومنحوتاتي التي في الدياجير،
كنتُ أطاردُ موجًا يطاردني ويسقطُ مني شرارٌ،
في أعالي البنايات كنتُ أحرِّك خوفي،
وفي ظلمات العصور التي أودعتني جريحًا ... في توابيتها،
في تدوينات هامشها،
في رفوش المدافن،
في الظهيرة معتمة بالخمر،
تنبهتُ ...
وكانت غَمرةٌ تُسكرُ روحي،
وطيركِ يحلِّق عاليًا.

(٦) ودٌّ

كان القمرُ ودًّا وسينًا ونانا،
ولكنكِ كنت معارجه،
زقورة خطاه،
يتكاثر في لفتةٍ ويدور،
هلالًا وبدرًا ويأسرني،
محض نورٍ يدور حولي وفي دمي،
ثم يتدافع في ورقي ويأسر أطلالي،
قرب شظاياه أتسلى بيومي وأطارد فراشاته،
كان منشغلًا بقرنيه وكان جسدي عاريًا،

وجروحي مثل ثورٍ وحصان
يركضان خلف بعضهما.

(٧) مَقَه

في ثناياه ... وفي غفلةٍ منه،
سقطت خواتمي كلُّها،
كيفَ صارت أسئلتي غبارًا؟
وكيف صارت معبدًا؟
ودارت به الأفلاك حتى احتواها
جناحاه مهيضان ومستسلمان،
يرعى عيوني،
ويصحبها في طرقات الليالي،
كنتُ ألمحه شاردًا وكان ينادي جمرًا كثيرًا،
وفي قسوةٍ كان يكسرني
ويعيد بنائي.

(٨) عشق

ليته انفرط قبل حلول الشتاء،
ليته غاب ...
يتنحى قليلًا ويفتح صرَّته،
أتأمل فيه دورة روحي،
وأمسك عروته،
التعازيم لم تعد نافعةً ولا الدعوات،
لا النهر نافع ولا المراكب،
لا المطرُ ولا الشمسيات،
همرتني خلاياه بالنار،
كنتُ أغني،

وأصفُّ طابوقَه،
ويداي على الرفِّ عاطلتان،
وواغلتان في مياه العماء.

(٩) غِلٌّ

هل ما زلتِ فوق السور؟
هل ما زالت مراياكِ لامعةً؟
وهل ما زالت النجوم تتهيَّجُ من عشبةٍ،
لماذا إذن تتوجع الكلمات؟
لماذا يقهرُ الحلمُ قلبي؟
وكيفَ تضيءُ زهوركِ هذه الحقول؟
لم يعد في السراديب شبحي،
وهو يتجول من وجلٍ،
ولم يعد النعاسُ يضربُ كحولي،
وردتي صارت بين عينيَّ،
وأنتِ لا تنظرين.

(١٠) غرام

أهكذا تكون المرأة أقسى من الكتابة؟
أتوسلها باليد،
فترمي لي زهرًا كثيرًا،
سرعان ما يتيبسُ على جداري،
أصفِرُ في يومي الطويل،
لكنه يزداد طولًا،
وأغني في ليلي،
فيتكوَّم على سريري مثل الثعالب.
لم تعد فناجين القهوة مقنعةً،

ولم تعد كاسات الخمر،
ولا الجرائد يقلِّبها حائرٌ مثلي،
كلها عبثٌ ما دمتِ لاهيةً عني،
كلما كان الورد واضحًا
ازددتِ غموضًا،
وكلما جاء ربيعي
دفعتِ إليَّ بالصيف،
ماذا أفعل بيديَّ العاريتين؟
وماذا سأقولُ لمخطوطتي الجديدة؟
وماذا سأفعلُ بهذا الناي الطويل
الذي أنفخُ به دون جدوى؟
ماذا سأفعل بالمجانين في داخلي
وهم يمعطون ثيابي وروحي،
الغرام القوي يأخذني
ويقدِّمني أضحيةً لشمسكِ.

إيروس الفضة

أسماءُ الحبِّ في صيفهِ

(١١) كَلَف

دخلت الشمسُ من الشبَّاكِ،
دخل الأسد من الباب،
وكنتِ ترفعين صليبي والوردُ يسقطُ من أقدامي،
بدأتِ تغنين وأصابعك على ثقوب الناي (أعني جسدي)،
كلما أشتد عزفكِ صحتُ: حبيباتي،
قصبٌ فارغٌ يتحطم في القرى البعيدة،
والمغاطس تمتد في الروح،
حتى تذوبي من كلفٍ ولا تُنزليني،
معًا سرقتنا شموع الليالي وذُبنا أسًى والتوينا،
عاري القدمين درت حولكِ وأسكرت عيونَكِ،
وأنت من ربيعٍ إلى ربيعٍ تتفتحين ويكتمل البدر في صدرك.

(١٢) شغف

أيعنيكِ ارتفاع السنابل أعلى حصوني؟
أيعنيكِ هذا البكاء الطويل؟
أيعنيكِ طبع الحفاوات مثل مطرٍ سائحٍ في البيوت؟
ندخل في ملعب الرغبات،
شغفٌ لا يشبه اندفاع موجةٍ ولا يشبه الشمس في حبالها،
شغف مثل مقدَّس يستعمر ظلامي،
أيكون تحت ابتسامة نبعي؟
أيكون سجادةً لصلاتي؟
الأيامُ الغائصةُ كسكِّينٍ في روحي،
ومثل حنين الرعاة،
الأيام التي ترجُّ المياه ولا تلتفت.

(١٣) شعف

ناره تتريث في وردةٍ ودخانٍ،
ثم يشطرها حيوان الليل،
فتعلو في جسده،
عادت الريح تأكلنا في زوايا الفراق،
جمعنا معًا قطع الملحمة المزقة لـ (بيرام وتسبي)،
ومددنا من الثقب خيوطًا،
أين مسراجنا؟
أين تلك الخمور التي بددتنا في البكاء؟
تعبت ناره وهو في شعفٍ يتلظَّى،
تهوي مناراته ويتحطم ذاك الكمان العريض،
الذي كان ينسجُ منه الأغاني.

(١٤) صبابة

كان في رمله يتسلى بلغزٍ،
بذرة النار تنمو وهو يزداد تحملًا وخوفًا،
عندما تكون أرواحنا معتمةً لا نستطيع الفكاك من القيود،
أرمي إليه الحبال،
لأسحبه من تراب،
روحه في دخان وفي لغطٍ،
يناور في وردةٍ يابسةٍ،
وتطليه فضةٌ غامضةٌ،
كان فصلًا شقيًّا،
وكانت أيامه تتدحرج في التيه،
ولغز يديه على حاله مثل قيدٍ عتيق.

(١٥) جوى

شيلي رمادكِ عني،
وشيلي ثيابكِ،
وشيلي يديكِ،
سكنَ الليل وتحت الظلام رأيت السيوف،
تتنكرين بوجه المساء،
وأنت قاسية كالجمر،
وطاستك ملأى بالخمر والزيت،
هذا أوانكِ أم أوان الصيف،
بلَّ أصابعي ماء الجوى،
وتحركت أكبادي في التراب،
تتجمعين في فكرةٍ،
وتتناثرين في قصبٍ،
يتعبدكِ العامة،
ولا تبالين بهم.

(١٦) رسيس

أنظر في المرآة القصيَّةِ،
وأراك مجتمعةً في ضبَّة سنابلٍ،
تحركين الأفق بمهفَّتكِ،
ويتحرك سحر الكلمات في رسيسٍ،
هذا أوانكِ لا أواني،
أسير مثل قافلةٍ منهوبةٍ،
وتركضين وأنت فوق أسدكِ،
تزخرفين روحي ويتصلَّب بك الزمان،
بينما أتفتت تحت ساقيكِ،
غموض الظلام فيكِ ورشقات النجوم،
وعلى حافات كأسي زغبٌ منك ووسنٌ يتكسر.

(١٧) سُهد

ذهبتَ إذن يا ربيعي،
وخلَّفت هذي السواقي التي ركدت فيها بروقي،
أتذكر الغاوية وهي تجرني على بلاطها،
أتذكر التي أدقُّ على حائط غرفتها ليلًا،
فتفتح لي بابها وجسدها،
أتذكر عنقي الذي شرَّبته القبلات،
ويوخزني الماء يرشح من مرشٍّ معلقٍ فوق رأسي،
أنزع قميصي،
بلَّله السهرُ والسهدُ وعتَّقته الأغاني،
أنزعُ بنطالي،
بقَّعته الليالي بسمرتها،
يشبه الجمر لساني،
وأنا أغلق الباب وأنفرد بعريها،
هل تساءلتِ عن معنى أن تكون الوردة أسفل بطنكِ،
وأن يكون غصنها معي؟
نصعد الدرج الذي يؤدي إلى الليل،
وهناك نزرع الريحان والندى،
لستُ غريبًا عن أسناني،
ولا يدي بعيدة عني،
لكنكِ تهربين بين أيدي الليل،
وتتركيني مع أقفالي وكئوسي،
السهد يثقب روحي،
ويجعل الريح تخترقها،
وأنتِ مثل السمكة تلعبين في مائي.

(١٨) جزع

طالت لحيتي وتهلهلت ثيابي،
وكلما خطت أفقي من ناحيةٍ،
انفتقَ من الناحية الأخرى،
الساعات القليلة التي أقضيها معكِ لا تكفي،
أكون، عادة، على طرف السرير ولا أحصل منكِ على وردةٍ أو شذى،
عُسيلتكِ لا أتذوقها ولا تتذوقين عُسيلتي،
ولا رعد يقلب الفوق تحت،
فيما ننظر أنا وأنتِ إلى التلفزيون،
ونقلِّب القنوات دونما معنًى وحتى أغاني الحب لا تستوقفنا،
ما يجعلني دائمًا في المهبِّ هو أنكِ لا تبالين بثيابي المبلولة،
وتدخنين بشراهةٍ وكأني منفضة سجائركِ،
لم تعودي تضحكين من النكات التي أحكيها لكِ،
ولم تعد مغامراتي القديمة تثيرك،
فيما ستائركِ دائمًا مفتوحة وعلى سريركِ الشوك،
روحي تجزع وكذلك أعضائي،
فأهربُ منكِ رغم محبتي ورغم عنفوان وجعي.

(١٩) لوعة

كان الفراشُ باردًا ثم أصبح ساخنًا ثم عاد باردًا،
ما الذي يعنيه كلُّ هذا؟
تنزلُ القلادة من رقبتي وهي تحملُ صورة النار في موقد يشبه الكاس ...
ولكني رغم ذلك أشعرُ بالبرد،
ورغم أن السكين تحت مخدتي لكني أشعر بها في خاصرتي.
الحمارُ ميت قرب منضدتي وكذلك الطيور الجميلة التي كانت تنقر برأسه أراها ...
هناك مائلة الرقبة.
حسنًا ماذا أفعلُ بفمي الآن ...

لم يعد صالحًا للكلام ولا للقبل ولا للطعام،
فجأة أصبح مثل قرحةٍ كبيرة تلطِّخ وجهي،
أما البركان الخامد في داخلي فقد بدأ يستعيد نشاطه ويتأرجح في الظلام.
هناك أمورٌ كثيرة لا بد لي من فعلها،
لكني لا أتذكرها ولا أستطيع فعلها إن تذكرت.
تهزُّ جدراني حسرات مرعدةٌ وأحدِّق في نفخات الدخان التي تخرج من حافاتي.

(٢٠) هيام

حين رششتُ أنبوب الماء على جدراني ظلت عطشى،
سرعان ما امتصت الماء ولم تتبلل.
حتى يدي لم تتبلل رغم أن الماء يسيل منها،
عطشي وصل إلى أقصاه،
كأن الشمس التي بشَّر بها الغرام حوَّلت الأرض إلى صحراء،
كأني تراجعت عن عزلتي وصرت في زحامٍ.
الأيام التي في البستان تحولت إلى صخور،
وهناك على ما يبدو رهط كثير من الأفاعي،
أمسك قزمتي وكركي وأنظف بستاني،
لكن الأحراش تحيط بي،
ماذا أفعل وأنتِ بعيدة عني،
كان يمكن أن يسقط قليل من العرق منك فينتهي كل شيء،
ويعود البستان كما كان،
أسمع لهاثكِ ولا أرى عرقكِ،
حتى عادات الحب نسيتها،
أحكُّ ظهري بعودٍ،
وأنظر أظافري الطويلة،
من فعل بي كل هذ؟
هجركِ طويل وفاره،

وأنا أحطُّ الطين فوق الطين بلا معنى،
غطى الرماد جسدي،
بينما الجمر ما زال متوقدًا في أغواري.

إيروس النحاس

أسماء الحبِّ في خريفه

(٢١) أرق

حدَّق الخريف بي مثل دبٍّ عجوز،
ورمى بوجهي رسائله الصفراء،
كان يمضي إلى كهفه ثم يخرج ساخرًا مني،
الليالي كانت تمرُّ وأنا لا أنام،
ودُبُّ الخريف يزداد غضبًا،
الكلام القليل الذي بحتُ به لكِ لم يجعل منكِ عاشقةً،
تتكورين في سريركِ مثل قطةٍ،

وتخمشين يدي كلما مددتها،
أحدِّقُ في النافذة ولا أرى سوى القطط تجوب الشوارع ...
كلهنَّ نزلن هناك إلَّا أنتِ ...
ويدي على خدي.

(٢٢) كَمَد

لا يتحرك هذا الطحال في الصحن لكنه يملأ غرفتي كلَّها ويضعني فيه،
كم من الليل سيكون؟
كم من الشدو الحزين سأرفعه إليكِ حتى ترفعي هلالي من البركة؟
كم من الدخان سيملأ رئتي حتى تعرفي كمدي؟
هذه أمارات القسوة وأنت تشهرين الأشواك نحوي،
أتساءل وأنا أنظر إلى يديك الحانيتين الدامعتين لماذا كل هذا العذاب؟
وكيف سنشتري سويةً شموع أعياد الميلاد؟
كيف سنختار النبيذَ الأحمرَ والجبن والزيتون؟
أتساءلُ إن كان ثمة قفلٌ جديدٌ لهذا البيت،
أم إن أبوابه ستظل مشرعةً هكذا!
ويمكنني أن أتساءل أيضًا عن مصير الرسائل التي أخذتِها من مذكراتي،
هل هي في مكتبتكِ أم في الموقد؟
أيامٌ ناحلةٌ تمرُّ،
وهناك ما لا أستطيع البوح به،
كأن أحجارًا على رقبتي،
وكأني هناك مثل هرٍّ متكوِّرٍ في السرير.

(٢٣) شجن

أكثر من نايٍ اشتريته،
وأكثر من كمان،
لكنها اليوم لم تعد معي،

أصبحت جزءًا من لوحاتي الصغيرة التي أرسمها كلَّ يوم وأعلقها على الحائط.
الخطوط والتماثيل أحلى من الحقيقة،
تتمشى في حقول الرموز وتغني،
ثمة عصفٌ بداخلي لا يبوحُ بشيء،
كانت أكثر الأغاني عذوبةً يقطر منها الحزن،
شجني إليكِ أكبر من شقٍّ في هذا الحائط أو هذا الثوب،
هو أقرب إلى حاجتي للبكاء والشراب،
أقرب إلى الوجوم،
ثعالبٌ تهربُ من أقدامي ولا تنجح في الوصول إلى الشراك،
والستار الكثيف ما زال من الغبار،
الدموع التي سالت من السقف كانت دموعي،
وكذلك تلك التي تسيل من اللوحات والتماثيل،
هذه هي نهاية عذابي،
أن أبكي وحيدًا،
وتظهر دموعي في مكان آخر.

(٢٤) شجو

عادت الريحُ ثانيةً،
خرجت من مغاورها الكابية،
وأنا أركدُ في تميمتي،
نسيتُ ممرًّا على الرفِّ كان يقطرُ نحاسًا،
نسيت قميصي الذي بلَّله الحلمُ،
وآويت نهارًا كالذئب يترصدني،
في طريقٍ طويل وضعتُ كئوسي الفارغة وبكيت،
شجو يخالط بوحي،
ورمالٌ تسقط في جيوبي،
أهفي على الطعام الساخن الذي أمامي،

وأصابعي يصبغها الجمر.
وقعُ أقدامها عند بابي لكنها لا تطرق الباب،
هناك تدحرجت قارورة السمِّ وانكسرت،
وهناك تمددتُ في بطنِ حوتٍ ... وغاب غنائي.

(٢٥) وجد

قفي عند نافذتك،
وانظري هذا الرجل الأعمى وهو يتلمس طريقَهُ بعصاه،
سالت منه نجومٌ وخرجت منه غيومٌ،
انظري الكتابَ الصغير الذي في جيب معطفهِ،
الذي تتساقط أوراقه في الشارع،
واسمعي صوت غنائه الحزين،
أيامه مثل نايات تتساقط منه،
قفي عند نافذتك،
وانظري ساقية الدموع،
وهي تحملُ عظامَ أيامه منذ طرق أول أبواب متاهته،
وحتى هذه النهايات،
وإيَّاكِ أن تصيحي عليه ...
إيَّاكِ ...
لأنه سيسقط من الجسر،
وتأخذه أمواج الماء بعيدًا.

(٢٦) تيم

خرجتُ أبحثُ عن معناي في الحديقة،
فوجدته نائمًا تحت كسرةِ آجر،
يتناهبه دودٌ أسود وحفرٌ كثيرة،
وفي الحديقة كانت وردةٌ بيضاء تشبهكِ،
وتعكسُ صورتي وأنا أحملُ جبلًا،

عبرتُ ليلًا،
فسقطت في الساقية مواعيني وذخائري،
وأصغيت لموسيقى تشبه محارةً.
وتدلت عند شجرةٍ طويلةٍ قناديلي،
فيما المشاعل غزت روحي،
وأنا أترنَّم بتيمٍ بكِ،
الصخور التي سقطت من كتفي،
تحولت إلى أسوارٍ،
والزهور التي كانت في يدي،
تحولت إلى أفاعٍ،
ما الذي يجريٍ في هذا الشتاء الطويل،
وأنا أزيح بطرف العصا الثلجَ عن حذائي،
فيما كلماتكِ التي أتذكرها في آخر لقاءٍ
تموع مثل رصاصٍ وتسيل من أصابعي.

(٢٧) دنف

حتى وأنا أراقبُ الأسماكَ في النهرِ أرى جسدكِ،
حتى وأنا أمسك الناي،
أسمع رياحًا تحمل طيورًا كبيرةً تشبه الرخ،
ما الذي أتى بهذا الخريف سريعًا؟
كنتُ على حافة النبعِ أتصيَّد النجوم،
كانت لي ألواحٌ نحاسية دوَّنت فيها أسماءكِ،
ولي مشاعل تشبه مشاعل المعابد القديمة،
عند عيون الماء أسترخي،
ولا شيء يظهر في سيرتي لامعًا،
أتركُ كيس الكتب،
وأحاول العبور إلى المعنى،
لكني ارتطمُ بجسدكِ الغائب،

كنتُ على حافةِ النبعِ ولم أشرب،
كيف استطاع بريدي أن يعبر كل هذه الأسلاك؟
أنت تدفعيني إلى الهاوية وأنا ارتفع في دخانك،
ما معنى أنكِ تضعيني في سفينةٍ مثقوبةٍ وتدفعين؟
ما معنى أنكِ لا تحسنين التقبيل؟
ألا يدعوني كل ذلك لأن أسدَّ بابكِ
وأبكي وحيدًا!

(٢٨) لهف

ألفُ نافذةٍ في جسدي مليئةٌ بالطيور التي تفرُّ نحوكِ،
حين أغني.
قلبي يرتجف وعصاي،
لم أعد أميِّز رائحةَ الخبزِ عن رائحةِ الكحول،
بالأمسِ وضعتُ المقصَّ فوق أوراقي،
وأعدتُ فتح سرَّتي،
وربطتُ حبلها بمشيمتكِ،
ومع ذلك سترت دموعي غيومٌ حمراء،
لم يكن في جمري سوى غصنٍ أخضر،
لم يكن في فمي سوى اسمكِ،
لم تكن في يدي سوى قطرات ندى نهديكِ،
لم يكن في ساقيتي سوى أبلامِ ورقٍ،
روائحكِ تكاثرت،
حتى رسبت في مفاصلي،
وأنا أضربُ وترًا طويلًا له صوت كصوت الجلو،
أو تهميسة كصلاة الفجر،
يتكوَّم لهفي بين قدميَّ،
وأنحني لألضمهُ، من جديد، في قلادةٍ طويلة،
تصل إلى رقبتكِ.

(٢٩) رَسَف

حين وضعتُ قيودي فوق السندان،
وهويتُ عليها بمطرقتي ...
تطاير شررٌ كثيرٌ وجَّ في حياتي وما زال،
لم تنكسر القيود،
ولم تحترق حياتي،
بقيتُ مثل جذعِ صنوبرةٍ مهملٍ في غابة محترقة،
رسَفي هذا ليس من أجل قلبكِ الجميل،
وليس من أجل كأسِ الشراب الذي أرفعه لأجلكِ كلَّ فجر،
رسَفي هذا من أجل عيون الديك،
تلك التي ألمحها في عدسات جسدكِ،
الرَّسفُ الأول في ظلام القيامة التي تتوعدني،
وفي جزركِ المحتشدة بالنخيل،
الرَّسف الأخير في فكرة الشيطان وهي تحركُ بحركِ،
الكلمات هي البركان الأسود في هذا الغَمر،
وفي هذه الممرات الضيقة أعبر مثل الحلزون،
وأتحاشى ذلك الرذاذ الذي تنكته أصابعكِ،
حين تغسلين يديكِ بدموعي،
آهٍ من صنوبرةٍ تنمو على ساقي،
وآهٍ من شمعةٍ تطول وأنا أكتب تحتها.

(٣٠) بتَل

أضع عينَ الأسد في رقبتي،
لا الحمى تعود لي ولا أخاف من هجركِ،
دخان النجوم ينشط دماغي،
ويجعل الصور المعلقة على الجدران أكثر بهاءً،
فيما يسقط عشُّ الغراب من سقفي،

لكن قلبي هو الخرقةُ الوحيدة التي تضعف أمامَكِ،
أرواح الهواء الشريرة تهاجمني،
ولا أستطيع تمييزها وسط ضباب الغسق،
وهناك أضع أسرارِكِ في البئر،
حين يكتمل القمر،
لكن شجرة الصفصاف تبوح بها،
وأسمعها تثرثر وأنا أسقي الأعشاب كلَّ يوم،
كلُّ امرأة بتول حين أعشقها،
وأنا بتلٌ بين ذراعيها،
أنشرُ شبكة هيامي على الماء وأنتظر
سمكةً خضراء
لم يمسَّها الضوء بعد.

إيروس الحديد

أسماء الحب في شتائه

(٣١) تبَل

على الهواء ينبتُ شذا كِمثل مسكٍ أو كحول،
لكنَّ رمادي يغطي النهرَ،
أحصيتُ خيولي التي هربت،
لم أجد غير حصانٍ كسيرٍ عجز عن الركضِ،

ووزنتُ حياتي بكفٍّ من الدمعِ،
خيط قوامي يضطربُ،
وكتاب العرافة في يدي يتساقط منه الزيت،
ومياه نازلةٌ من الأعالي تلامسُ أكتافي،
لم تبقَ سوى الزهور الصفراء في جيبي،
ويداي مرتفعتان بالدعاء ألهج باسمكِ،
نهج الرماد اتَّضح وقربه نهج الشقوق،
لكني رغم ذلك ما زلتُ أشمُّ رائحة ثدييكِ فأسيلُ مع الماء،
رعشة الورد رغم زوال العافية ما زالت،
وثوري يزداد نشاطًا.

(٣٢) تدلُّه

قبلها كانت امرأة الحصاد،
وها هي الآن تجمع الغلَّة من يديه،
أدار كرةَ الأرض الفخارية على منضدته،
وحين وقفتْ كان إصبعه على الأراضي المنخفضة،
أنواره مثل بحارٍ محتدمةٍ،
مساءٌ باردٌ مثل كأسه الموضوع على حافة النافذة،
وأصابعها تمسح شعره من بعيد،
كِسرُ الأساطير في يده مثل ليطٍ،
وأشواككِ غلالةُ حرير،
حتى الفجرُ تخلَّى عنه،
رغم أنه معقودٌ في صدره،
حتى خرافاته لم تعد تشتغل رغم أنها مسفوحةٌ أمامه،
دعوه في تدلهِ لا يصعد ولا ينزلُ
ولا يعرفه الطير.

(٣٣) وَله

يتكلم الطفلُ في أصابعي ويلثغُ،
جُبِّيَ من ورقٍ،
والمياه تغطي حفري،
مرَّ فيَّ الشبوطُ وجفلَ،
مرَّت فيَّ القرنفلةُ وبكت،
تحولت المرايا إلى صفائح من تنكٍ،
ورتقت عينيَّ كي لا أرى مشهد الدمِ،
هجرتُ ساحلي،
وعرضتُ الدرة البيضاء في الطريق،
لكنَّ أحدًا لم ينتبه لها،
بددتني الرحى،
ونثرتُ طحيني على المياه،
فلم ينبت شيء.

(٣٤) وصبْ

حين غادرتُ بغداد
عرفتُ بأني أغلقُ كتاب العشق
وأفتح كتاب الجنون،
لامني إخوةُ الخرقةِ،
وسلَّمت أصابعي للغزل،
تعبَ الليل ... ولم تتعب يدي.
نزلت ستارة ظلام العصور أمامي،
وعيوني مثقوبةٌ بنور،
الجدار يعلو ... والسماء تصغر،
أسمالي تزداد سعةً وخطاي تضيق،
أتوصَّب من أجل هاويةٍ وتحوم النسور حولي،

بدلًا من مداعبة قيثاري
تداعبين أوتار جنوني،
وأغفو بين يديكِ على حلمٍ شاسعٍ بالزوال.

(٣٥) بِلبال

مثل رباب بلا قوس
لا يكون لحني وتتعطل الكلمات،
ثمة عقارب توقف الزمن،
كلُّ وترٍ بكاء،
وعلى بطنه يزحف الإله الممزق أمامي،
النافذة عمياء وكذلك عيوني المبلَّلة،
ماذا في كسرة الخبز؟
ماذا في كوز الماء؟
ماذا في الطريق غير أحجار متناثرةٍ،
صفُّنا طويلٌ،
وجرادٌ يخيِّم ويطير في داخلي،
النبيذ الذي لم نحسن التعامل معه أوهمنا،
والبِلبال الذي في قاع الروح يدوِّي،
هناكَ سطولٌ كثيرة لأجل إخماد ناري،
لكني لا أقوى على حملها،
زحل يبكي في صدري،
والديدان تمشي في حريري.

(٣٦) سُدْم

تجرُّه الغيومُ مثل قتيلٍ،
عينُ كتابه تنزف دمًا،
لم يعد يقوى على رفع ظلام آباره نحو الفجر،

فمه ينطقُ السواد،
ويداه تقبضان على شَدَّةِ زهورٍ ذابلةٍ،
لم يعد الغناء كافيًا لاستعادة النجوم،
كان يضبطُ أوتاره ولا يستطيع،
حنطته لم تنبت إلَّا في الزوايا،
ودغله أخذ الحقل كلَّه،
كان الناسُ يشبهون الموتى حوله،
أما الآن فهو يشبه ميتًا ينظر إليه الناس،
الكئوس التي تدور لا خمرة فيها،
والمباخر لا تحمل سوى الجمر،
أما النايات فبلا ثقوب،
لا فائدة من ندمٍ يتبعه حزنٌ،
ذهب كلُّ شيء،
وأمارات الشتاء تظهر في يديه وقدميه،
وسرعان ما يجذب البرقَ ويحترق.

(٣٧) محو

لا فرقَ أن يكون هنا أو هناك،
أشعةُ القمر تمرُّ فيه،
وتعلُّقه على حبل الليل الطويل،
حورياته يبكين،
ويقبِّلن يديه وقدميه،
شعره تملؤه الأشواك،
وخدوده ضامرةٌ،
تحت مراقد النور يتمدد مثل خيطٍ،
ويتحول صليبه إلى دائرة تدور حوله،
ناحلٌ عند نافذةٍ: يراها تحيط الأشجار في شارعٍ،
يداه تتحول إلى ترابٍ،

وقدماه إلى ماء،
ناحلٌ عند نافذةٍ: يراها تكرع خمرتَه الحمراء،
على الجدار يكتب أشعاره ورسائله،
وتتآكل الشمعدانات في أفقه وتهوي،
ناحلٌ عند نافذةٍ: وهي تصلي لعذابها،
وتنتف ورق الورد،
وتروي الحكايات،
ناحلٌ دون نافذةٍ ... لا تراه.

(٣٨) غياب

اسمه العبابُ أو الغيابُ ... لا فرق،
يخبئُ شجرته في بئرٍ،
ويهيلُ الزمانَ على كتفيه،
ينزعُ تاجَ الوردِ ويلبسُ تاج القشِّ،
يرى في الحقولِ خوفًا،
صيحةٌ في الشمال،
وأخرى في الجنوب،
ينقلبُ، في سريره، وحشًا غريبًا،
هنا صفُّ أكوابهِ،
وعلى الرفِّ أوهامه يغطيها الغبار،
يثبُ في بعضه،
ويشبُّ على أطراف أصابعه،
ويهوي،
هو في الأعالي لكن أثقاله تنزله للجحيم.

(٣٩) جنون

غسل يديه بدموعه،
أطرق يخطُّ بعصاه طريقَ النهايةِ،

هذه أسمالهُ،
وتلك نافذته المغلقة،
مشدوه بذلك الغصن وعالقٌ به،
لا أحد يضعه على الأرض ولا الغصنُ ينكسر،
نضحَ الماء عن صُلبِهِ،
فيبسَ ووقف عند النافذة المغلقةِ مثل عودٍ،
لم تتب جذوره بعد،
وفي أقاصي الريح تتردد أغانيه القديمة،
وفي شغاف عقله تنمو النجوم والديدان،
ويختمر الليل في صحنه ... يختمر النهار في عينيه،
هكذا يكون طوافه مثل عنكبوت،
يشيل عن الأرض طرفَ ثوبه ويدور.

(٤٠) عُته

لأجل خطى الدمعِ تهتُ،
لأجل عجلةِ القدر التي تسفح تحتها أرواحنا،
لأجل المواثيق مختومةً بعادات أيامنا المملَّةِ،
لأجل التي لا تبالي!
دفنتُ النور في مراقد أعماقي،
الظلام لا حدود له،
أتعثر بأحجارٍ،
وأتابع طيورًا لا تُرى،
هوى العالم الحقُّ خارج أذرعي،
غمرت أسراري قدميَّ،
وليس هناك مَن يقودني،
خبا الناي في داخلي،
وأسلمت روحي لنهايات غامضة،
حملني حصانٌ خارج المكان،

إلى وطرٍ لا أعرفُ معناه،
هناك فتحتُ عينيَّ وعشقتُ،
وهنا أسملتهما،
حيث تذهبين مع الآلهة أو الشياطين وتتركيني لعماي،
ألاحقُ مصيري ... ويلاحقني،
ولا أعرف مَن أكون.

هوامش وإشارات

هذه المجموعة الشِّعرية تتناول أسماء الحب الأربعين في العربية وفي حقل «فقه اللغة العربية» تحديدًا، وقد قمت بدراسة معاني هذه الأسماء وغيَّرت قليلًا في ترتيبها، وأدهشني أنها تتدرجُ في درجات الحب كما لو أنها دورة فصول فقمت بتقسيمها وفق هذه الدورة واضعًا كلَّ عشرة أسماءٍ في فصل واحد، ووجدت أيضًا أن هذا التقسيم يتوافق مع التقسيم التقليدي لمراحل الأسطورة وأنواعها والتي يمكن، أيضًا، أن نسميها وفق الفصول أو المعادن.

هذه الأسماء تحملُ ثروةً حقيقةً في معانيها، ولذلك حاولتُ استثمارها، في هذه المجموعة، في كتابة أربعين قصيدةً تحاول أن تلامس معاني تلك الأسماء وتتابعُ أحوال العاشق وهو يتدرج فيها من بداية الحب (الهوى) حتى نهايته (العته).

وقد وجدتُ أيضًا أن أسماء ربيع الحب ترتبطُ، عادةً، بالقلب. أما أسماء صيفه فترتبطُ بالجسد والجنس، وأسماء خريفه ترتبطُ بالنفس، أما أسماء شتائه فترتبطُ بالعقل وما يحدثه الحب من اضطراب فيه. والحب، في كلِّ هذا، يتدرجُ من الصبا إلى الشباب إلى النضج إلى الكِبر، وهو لا يتناقص في قوته بل يزداد ضراوةً وحرارةً ووجعًا.

خاتمة

رمز الإيروس

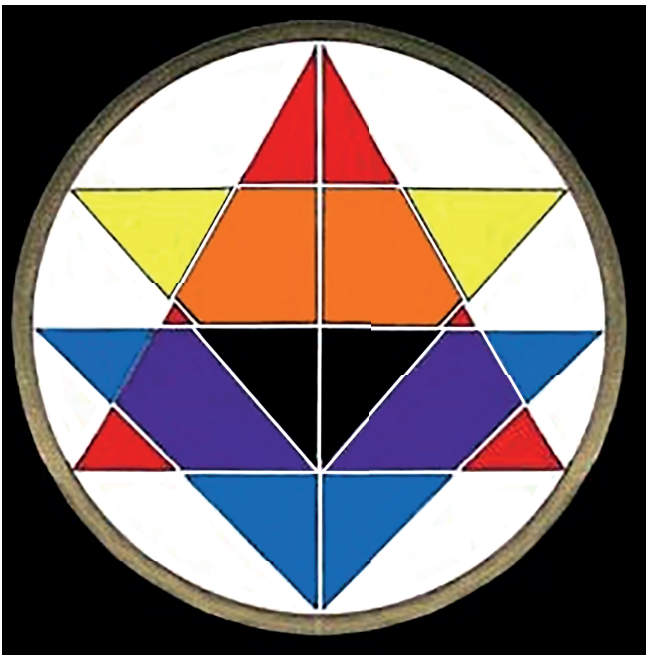

http://www.harvardsquarelibrary.org/Hartshorne/symbols/human.html

إيروس الذهب

الإلهة الأم لأوريشا والبحر.

http://craftychickscuppacoffee.blogspot.com/2010/05/yemaya-great-mother-goddess-of-living.html

إيروس الفضة A. Andrew Gonzalez

http://artodyssey1.blogspot.nl/search/label/A.%20Andrew%20Gonzalez
http://www.sublimatrix.com/

إيروس النحاس A. Andrew Gonzalez

http://www.robertmasters.com/ESSAY-pages/dreaming_body.htm

إيروس الحديد

http://www.flickr.com/search/?q=venus&w=all&s=int#page=3

هنـــداوي